مجلة القلزم

العلمية للدراسات السياحية والآثارية

ISSN: 1858 - 9928

علمية دورية دولية محكمة - تصدر بالشراكة مع جامعة شندي - السودان

في هذا العدد:

- **التنمية المستدامة والحفاظ على مواقع التراث العالمي بإقليم شندي الآثاري - السودان**

  د. أحمد إدريس أحمد محمد

  د. محمد خير محمد العطا

- **جريمة قتل في عصر الملك اسبلتا**

  د. الحسن أحمد محمد الحسن

- **الإعلام السياحي دوره في تطوير السياحة في الولاية الشمالية (أبريل 2020م - يونيو 2024م)**

  د. عبد الفتاح عبد العزيز محمد إبراهيم

- **أثر المهددات الطبيعية والبشرية على المواقع الأثرية جنوب مدينة شندي - ولاية نهر النيل - السودان**

  د. عثمان سليمان محمد علي

- **تاريخ ظهور الأسلحة في السودان القديم (العصور الحجرية والبرونزية)**

  أ. منال الأمين الشيخ

العدد 20 - صفر/ربيع الأول 1445 - سبتمبر 2024م

مجلة القلزم
العلمية للدراسات الآثارية والسياحية

هيئة التحرير

الإشراف العام:
د. أحمد علي أحمد عبد الله

رئيس هيئة التحرير
أ. د. حاتم الصديق محمد احمد

رئيس التحرير
د. عوض أحمد حسين شبا

مدير التحرير
د. ندى بابكر محمد إبراهيم

التدقيق اللغوي
أ. الفاتح يحيى محمد عبد القادر

الإشراف الإلكتروني
د. محمد المأمون

التصميم الفني
خالد عثمان

فهرسة المكتبة الوطنية السودانية - السودان

مجـلة القُـلـزم

AlQulzum Journal
for archeological and tourismstudies

الخرطوم : مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر 2024
تصدر عن دار آريثيريا للنشر والتوزيع - السوق العربي الخرطوم - السودان

ردمك: ISSN: 1858 9928

الهيئة العلمية والإستشارية

أ.د. علي عثمان محمد صالح
جامعة الخرطوم رئيس الهيئة

أ.د. يوسف مختار
جامعة افريقيا العالمية - السودان

أ.د. عبد الرحيم محمد خبير
جامعة بحري - السودان

أ.د. خضر آدم عيسى
جامعة الخرطوم - السودان

د. هانم العزب
جامعة الزقازيق جمهورية مصر العربية

د. محمد علي الحاج
جامعة صنعاء - اليمن

د. محمد خير محمد العطا
جامعة شندي - السودان

د. فائز حسن عثمان أحمد
جامعة جيزان - السعودية

د.محمد الفاتح حياتي عبد الله الطيب
جامعة الخرطوم - السودان

د.عبد المنعم أحمد عبد الله
جامعة افريقيا العالمية - السودان

د. سامي شرف محمد غالب الشهاب
اليمن

د. أماني نور الدائم محمد مسعود
الهيئة العامة للآثار والمتاحف - السودان

د. محمد فاروق عبد الرحمن علي
جامعة افريقيا العالمية - السودان

د. أحمد حامد نصر حمد
جامعة النيلين - السودان

د. حرم ابو القاسم مدير
جامعة شندي - السودان

د.محمد البدري
جامعة الخرطوم - السودان

د. علي محمد عثمان العراقي
جامعة الملك سعود - المملكة العربية السعودية

د.جعفر محمد مصطفى ابوزيد
جامعة الزعيم الأزهري - السودان

د. هيفاء بنت حمود بن صالح الشمري
جامعة حائل - المملكة العربية السعودية

د. نهى عبد الحافظ
جامعة الخرطوم - السودان

د. هاشم عوض فضل السيد
جامعة شندي -السودان

د. يوسف العبيد السيد
جامعة شندي - السودان

د. ليلى محمد بوعزة
المتحف العمومي الوطني الجزائري - الشلف - الجزائر

الآراء والأفكار التي تنشر في المجلة
تحمل وجهة نظر كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن آراء المركز

ترسل الأوراق العلمية على العنوان التالي
هاتف: **+249910785855 - +2491215662071**
بريد إلكتروني: **rsbcrsc@gmail.com**
السودان - الخرطوم - السوق العربي
عمارة جي تاون - الطابق الثالث

موجهات النشر

تعريف المجلة:

مجلة (الُقلزم) للدراسات السياحية والآثارية، مجلة علمية مُحكمة، تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر. تهتم المجلة بالبحوث والدراسات التي تخص حوض البحر الأحمر والدول المطلة عليه والمواضيع ذات الصلة.

موجهات المجلة:

1. يجب أن يتسم البحث بالجودة والأصالة، وألا يكون قد سبق نشره قبل ذلك.
2. على الباحث أن يقدم بحثه من نسختين. وأن يكون بخط (Traditional Arabic) بحجم 14 على أن تكون الجداول مرقمة وفي نهاية البحث وقبل المراجع على أن يشار إلى رقم الجدول بين قوسين دائريين ().
3. يجب ترقيم جميع الصفحات تسلسلياً وبالأرقام العربية بما في ذلك الجداول والأشكال التي تلحق بالبحث.
4. المصادر والمراجع الحديثة يستخدم أسم المؤلف، اسم الكتاب، رقم الطبعة، مكان الطبع، تاريخ الطبع، رقم الصفحة.
5. المصادر الأجنبية يستخدم اسم العائلة (Hill, R).
6. يجب ألا يزيد البحث عن 30 صفحة، وبالإمكان كتابته باللغة العربية أو الإنجليزية.
7. يجب أن يكون هناك مستخلص لكل بحث باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد على 200 كلمة بالنسبة للغة الإنجليزية. أما بالنسبة للغة العربية فيجب أن يكون المستخلص وافياً للبحث بما في ذلك طريقة البحث والنتائج والاستنتاجات، مما يساعد القارئ العربي على استيعاب موضوع البحث وبما لا يزيد عن 300 كلمة.
8. لا تلزم هيئة تحرير المجلة بإعادة الأوراق التي لم يتم قبولها للنشر.
9. على الباحث إرفاق عنوانه كاملاً مع الورقة المقدمة (الاسم رباعي، مكان العمل، الهاتف، البريد الإلكتروني).

نأمل قراءة شروط النشر قبل الشروع في إعداد الورقة العلمية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد:

القارئ الكريم ،،،

إن من دواعي سرورنا أن نطل عليكم من خلال العدد العشرون من مجلة القُلزم العلمية للدراسات السياحية والآثارية العلمية الدولية المُحكمة، والتي تصدر بالشراكة مع جامعة شندي - السودان، وقد تميز هذا العدد بموضوعات علمية ورصينة، تناولت «التنمية المستدامة والحفاظ على مواقع التراث العالمي بإقليم شندي الآثاري - السودان، كذلك جريمة قتل في عصر الملك اسبلتا، كما تناولت الإعلام السياحي دوره في تطوير السياحة في الولاية الشمالية في الفترة من أبريل 2020م - يونيو 2024م، بالإضافة إلى أثر المهددات الطبيعية والبشرية على المواقع الأثرية جنوب مدينة شندي - ولاية نهر النيل - السودان».

وفي الختام نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفق الجميع،،

هيئة التحرير

المحتويات

الموضوع	الصفحة
التنمية المستدامة والحفاظ على مواقع التراث العالمي بإقليم شندي الآثاري - السودان د. أحمد إدريس أحمد محمد د. محمد خير محمد العطا	9
جريمة قتل في عصر الملك اسبلتا د. الحسن أحمد محمد الحسن	28
الإعلام السياحي دوره في تطوير السياحة في الولاية الشمالية **(أبريل 2020م - يونيو 2024م)** د. عبد الفتاح عبد العزيز محمد إبراهيم	43
أثر المهددات الطبيعية والبشرية على المواقع الأثرية جنوب مدينة شندي - ولاية نهر النيل - السودان د. عثمان سليمان محمد علي	89
تاريخ ظهور الأسلحة في السودان القديم (العصور الحجرية والبرونزية) أ. منال الأمين الشيخ	105

تاريخ ظهور الأسلحة في السودان القديم (العصور الحجرية والبرونزية)

أ. منال الأمين الشيخ
قسم الآثار - كلية العلوم الإنسانية - جامعة بحري

مستخلص:

اشتهر الكوشيون (قدماء السودانيين) عبر العصور بمهارتهم الفائقة في الرماية، حتى أنهم عُرفوا في الفترة الوسيطة بلقب «رماة الحدق». وأظهرت الرسومات والنقوش التي صورت المعارك خلال عصر المملكة المصرية القديمة (2686-2181 ق.م) استخدام القوس والسهم في خضم المعركة. وقد وُجدت أدلة تؤكد ذلك من عصر حضارة كرمة (2500-1500 ق.م) بالإضافة إلى أن جبانات نبتا (900-664 ق.م) احتوت على عدد من الأسلحة. كما وُجدت أسلحة متنوعة في بعض المواقع والمقابر التي تعود لفترة الحضارة المروية (664 ق.م-350 م) وما بعدها (350-543 م)، بما في ذلك رؤوس السهام والرماح والفؤوس وغيرها.

تهدف هذه الورقة إلى استكشاف أصل الأسلحة، التغيرات التي طرأت عليها، والعوامل التي أسهمت في انتشارها، بالإضافة إلى تحليل محتواها الحضاري من خلال دراسة الأسلحة المكتشفة في المقابر والأفكار والمعتقدات الرمزية المرتبطة بها، لكشف نظام التسليح الجنائزي. اعتمدت الورقة على المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي المقارن للحصول على نتائج علمية تتسق مع أهداف الورقة. ركزت الدراسة على مجموعة من الأسلحة الموجودة في متحف السودان القومي، والتي تعود لتلك الفترات، وأعادت تصنيفها حسب الأنماط ودراستها وتحليل متغيراتها بدقة. توصلت الدراسة إلى تحديد الدلالات السياسية والرمزية (الدينية والجنائزية) للأسلحة، والتي ميزت كل مجموعة عن غيرها، وكذلك تحديد الأسلحة التي ميزت الطبقات العليا في المجتمع أو رجالات الجيش عن باقي أفراد المجتمع خلال تلك الفترة التاريخية.

كلمات مفتاحية: تاستي، واوات، تانحسي، الأسلحة، فؤوس، هراوات، روؤس سهام، رؤوس رماح، سكاكين، عصر برونزي، عصر حجري

The History of Weapons In Ancient Sudan (Stone Ages and Bronze)

A.Manal Elamin Elshikh

Abstract:

The Kushites (ancient Sudanese) were famous throughout the ages for their superior archery skill, to the point that they were known in the Middle Ages as “shooters.” Drawings and inscriptions that depicted battles during the era of the Old Kingdom of Egypt (2686-2181 BC) showed the use of the bow and arrow in the midst of battle. Evidence confirming this has been found from the era of the Kerma civilization (2500-1500 BC), in addition to the fact that the cemeteries of Napata (900-664 BC) contained a number of weapons. Various weapons were also found in some sites and tombs dating back to the Meroitic period (664 BC-350 AD) and later (350-543 AD), including arrowheads, spears, axes, and others.This paper aims to explore the origin of weapons, the changes that occurred to them, and the factors that contributed to their spread, in addition to analyzing their cultural content by studying the weapons discovered in tombs and the symbolic ideas and beliefs associated with them, to reveal the funerary armament system. The paper relied on the historical method and the descriptive analytical and comparative method to obtain scientific results consistent with the objectives of the paper. The study focused on a group of weapons located in the Sudan National Museum. Which dates back to those periods, and was reclassified according to patterns and carefully studied and analyzed its variables. The study determined the political and symbolic meanings (religious and funerary) of weapons, which

distinguished each group from others, as well as identifying the weapons that distinguished the upper classes of society or army men from the rest of society during that historical period.

Keywords:Ta-Sti, Wawat, T-nehysu, Weapons, Axes, Clubs, Arrowheads, Spearheads, Knives, Bronze Age, Stone Age.

مقدمة:

عُرفت البلاد الواقعة جنوب الحدود المصرية خلف الشلال الأول منذ عهد الدولة المصرية القديمة بعدة أسماء، من بينها «النحسيو" (Anehysu) التي تعني «السمر». وكان الأقدمون يميزون هذه الأراضي بتقسيمها إلى إقليمين: الأول حول الشلال الأول وأسموه «واوات" (Wawat)، والثاني جنوب الشلال الثاني وكان يُعرف باسم «كوش" (Kush) لاحقاً، منذ عهد الدولة المصرية الوسطى (2050-1786 ق.م)، أُطلِق اسم «كوش» على المنطقتين معاً. بالإضافة إلى ذلك، كانت هذه المناطق تُعرف بأسماء أخرى في تلك الفترة، مثل «تا-ستي» التي تعني «أرض الأقواس»، والتي بدأت تُطلق على إقليم محدد ثم انتشرت لتشمل القطر بأكمل. (Arkell: 1953: 27) ولتسهيل إدارة هذه البلاد، قام قدماء المصريين منذ عهد الدولة المصرية القديمة بتقسيمها إلى اثنتين وأربعين مقاطعة، جزء منها في مصر العليا والجزء الآخر في مصر السفلى (خبير، 2002، ص 21).

تشير النصوص القديمة إلى أسماء متعددة للبلاد الواقعة جنوب مصر، حيث يُلاحظ أن اسم «كوش» ذُكر في التوراة والنصوص الآشورية في بلاد الرافدين. وفي لوحة تركها الملك الأكسومي عيزانا، ظهر اسم «كاس" (Reisner: 1918:3). أما قدماء اليونان فأطلقوا على هذه الأقاليم والأراضي المحيطة بها اسم «إثيوبيا» والتي تعني «أرض ذوي الوجوه المحروقة" (Welsby: 1998:7). غير أن الاسم الحالي «إثيوبيا» أطلقه العرب في القرون الوسطى على المنطقة الواقعة جنوب الصحراء الكبرى بين البحر الأحمر والمحيط الهندي شرقاً والمحيط الأطلسي غرباً.

مـا يهمنـا هنـا هـو الإشـارة إلى اسـم «تا-سـتي» الـذي ورد في العديـد مـن النصـوص المصريـة القديمـة، حيـث شـمل هـذا الاسـم النوبـة السـفلى حتـى الشـلال الثانـي. تـم ذكـر «تا-سـتي» في نقـش جبـل شـيخ سـليمان، نحـو 11 كلـم جنـوب وادي حلفـا، حيـث يظهـر في النقـش رجـل بذراعـين مقيـدة للخلـف وممسـكاً بقـوس (لوحـة رقـم 1).

كمـا ذُكـر «تا-سـتي» في أبيـدوس في سـيرة الملـك أمنمحـات الأول (نحـو 1991-1962 ق.م). وُجـدت هـذه التسـمية أيضـاً في كتابـات الملـك تهارقـا في القـرن السـابع ق.م، وفي مخطوطـات الملـك أرخمانـي (235-218 ق.م) في منطقـة المصـورات الصفـراء، حيـث ذُكـر أن الإلـه أبادمـاك، وهـو المعبـود المحـلي لـدى المرويـين، «أسـد الجنـوب وملـك تاسـتي" .(Griffith: 1911: 169)

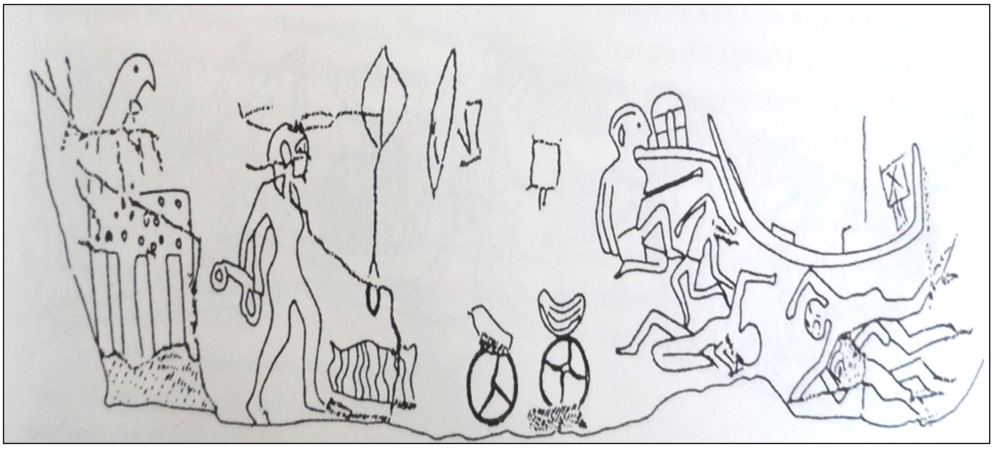

لوحة رقم (1) نقش جبل شيخ سليمان
(after Arkell 1950)

وقـد اسـتمر اسـتخدام اسـم «تا-سـتي» حتـى فـترة دولـة نبتـا في سـيرة الملكـة أماني تـيري في نهايـة القـرن الخامـس ق.م، حيـث أشـير إلى تتويجهـا بتـاج «تاسـتي». وهنـاك إشـارة أخـرى إلى خشـب الأبنـوس الـذي يأتـي مـن «تاسـتي»، والـذي يشـمل الحـدود الجغرافيـة لـكل النوبـة السـفلى في أيـام الدولـة المصريـة الحديثـة حتـى جنـوب الشـلال الثانـي.

أُستعمل لفظ «تاستي» أيضاً في الفترة المروية للإشارة إلى إقليم بعينه، والإقليم المقصود هنا هو صنم أبودوم الذي يقع على الضفة اليمنى للنيل مقابل جبل البركل. ويبدو أن الملك نستاسن كان يشير إلى هذا الإقليم أيضاً حينما أظهر امتنانه للإله آمون بقوله: «نصبني الرجال ملكاً في ذلك اليوم الرابع والعشرين عندما منحتني السيادة على تاستي». وهذا يدعم أن آمون الذي عُبد في صنم أبودوم عُرف باسم «آمون ثور تاستي." حتى بعد الفتح العربي الإسلامي لمصر في عام 640 م، استمر تأثير اسم «تاستي»، حيث لقّب العرب مقاتلي مملكة دنقلا المسيحية بـ«رماة الحدق» لمهارتهم في إرسال السهام (فانتيني، 1978، ص 25).

1. مراحل تطور السلاح عبر الحضارات البشرية:

أقدم الأدوات التي صنعها الإنسان القديم تُعرف بالأدوات الحجرية الألدوانية الأحادية التشظية، نسبة لموقع الدوفاي قورج في تنزانيا. كانت هذه الأدوات بدائية جداً لدرجة أن العلماء تشككوا في حقيقتها لفترة طويلة. وقد عُثر على أقدم نماذج منها في أفريقيا، حيث يُعتقد أن القارة الأفريقية هي موطن الإنسان الأول. كانت طريقة صناعتها تعتمد على ضرب نواتين مع بعضهما البعض لينفلق الحجر وينتج عن ذلك طرف حاد غير مشذب يمكن استعماله كسلاح أو لأغراض القطع المختلفة أو لصيد أو سلخ الحيوانات، تطورت الأدوات الألدوانية إلى ما يُعرف بالفأس اليدوية أو فأس قبضة اليد. هذه الأدوات تشبه ثمرة الكمثرى أو قلب الإنسان، وتصنع من لب أو نواة الحجر، ويتراوح طولها ما بين 12-20 سم. مقارنة بالأدوات الألدوانية، فإن الفأس اليدوية أكثر إتقاناً في صناعتها وأصغر حجماً، ويتميز طرفها الأمامي بحافة حادة نسبياً (ديفيد، 2002، ص86). انتشرت الفأس اليدوية في معظم أجزاء العالم وأصبحت تشكل المعلم الرئيسي لصناعات العصر الحجري القديم الأسفل.

الفأس الآشولية أول الحفريات التي جاءت باكتشافات لهذه الأداة كانت في مواقع أوروبية، ولذلك صارت الفؤوس اليدوية تُعرف أو تُنسب إلى تلك المواقع، مثل الفأس الآشولية (نسبة إلى موقع سنت آشول في فرنسا). بالرغم من أن فؤوساً مشابهة تماماً وُجدت في آسيا وأفريقيا، صارت هذه المسميات تُطلق على كل الفؤوس اليدوية في أنحاء العالم، وأصبحت هذه المصطلحات شائعة ومقبولة.

فالاستخدامات المتعددة للفأس اليدوية بناءً على الحافة، يمكن رؤية الكيفية التي أُستخدمت بها الفأس اليدوية. غالباً ما كانت متعددة الاستعمالات، ويمكن أن تكون استخدمت للحفر، لنجر الأخشاب، كسلاح، كقذائف، أو لأغراض أخرى. عملية التشكيل وتطورها عبر الزمن كانت ذات علاقة مباشرة بقدرات الإنسان البيولوجية، مثل حركة أصابع اليد والتحكم في الطرق من ناحية القوة والزوايا التي تطرق منها الحصاة أو النواة.

اذاً أهمية دراسة تطور الأسلحة دراسة الأسلحة ورصد التطور الذي طرأ عليها يساعدنا في فهم تطور الهيكل العظمي للإنسان والكيفية التي تكيفت بها المجتمعات المبكرة في بيئاتها المختلفة.

أولاً: العصر الحجري القديم: (3.000.000-120.00 ق.م):

مراحل تطور صناعة الأسلحة عبر عصور ما قبل التاريخ تشمل العصر الحجري القديم والعصر الحجري الوسيط. في العصر الحجري القديم (3,000,000–120,000 ق.م)، بدأت صناعة الأدوات الحجرية المبكرة التي تُعرف بثقافة أولدوان (Oldowan) من إنتاج إنسان الهومو هبلز (Homo habilis) واكتشفت في خانق أولدواي قورج في تنزانيا (ديفيد، مرجع سابق، ص73). بعد ذلك، ظهرت الفؤوس الأشولية التي لعبت دوراً مهماً في تطور التقنية الموستيرية، وكانت أصغر حجماً ومصنوعة من الشظايا والرقائق الحادة، واستخدمت كأسنة حراب وأدوات متنوعة مثل المكاشط والسكاكين (المرجع السابق، ص 74–75). في العصر الحجري القديم الأعلى، تنوعت الثقافة حسب المناطق، حيث كانت أدوات الشفرات (Blade tools) هي السائدة، بينما في أفريقيا الاستوائية سيطرت السواطير السانقوانية ومن بعدها اللقالوائية، مما يستدعي وضع تقسيم موضعي خاص بكل منطقة عند دراسة آثار هذه الفترة (المرجع نفسه، ص74–75). أصبح السهم والقوس أكثر فاعلية وارتبطا بتطور اقتصاد الصيد، وقد انعكس التقدم في نشاط الصيد في كميات العظام الهائلة المكتشفة في مواقع العصر الحجري القديم الأعلى، حيث استخدمت العظام وقرون الحيوانات في صناعة الأسلحة (المرجع نفسه، ص74–75).

ثانياً: العصر الحجري الوسيط: (8000-1000 ق.م):

في العصر الحجري الوسيط (8,000–10,000 ق.م)، الذي يمثل فترة انتقالية بين العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث، يُقدر الباحثون أن هذه الفترة تمتد من الألف العاشرة حتى الألف السادسة قبل الميلاد تقريباً، استناداً إلى المعطيات المكتشفة في أوروبا، الشرق الأوسط، وبعض أجزاء أفريقيا. شهد هذا العصر تطوراً ملحوظاً في القوى الإنتاجية لمعظم الشعوب، وكان بمثابة عصر انتشار القوس والسهم، وهو من الأسلحة المعقدة التي تتطلب تراكم هائل من الخبرات والتجارب واتساعاً في الأفق الإبداعي. ظهرت أيضاً في هذا العصر أدوات إنتاجية جديدة لم تقل أهمية، مثل الأنصال والفؤوس المصنوعة من الحجر أو العظم، بالإضافة إلى الأسلحة المركبة مثل السكاكين والخناجر ورؤوس السهام والحراب. ظهرت هذه التقنية في المناطق الجنوبية خاصةً في المراحل الختامية للعصر الحجري القديم الأعلى، لكنها وصلت إلى قمة ازدهارها في العصر الحجري الوسيط عندما انتشرت بشكل واسع في مناطق آسيا وأوروبا (ديفيد، مرجع سابق، ص 191).

شهد هذا العصر تطوراً ملحوظاً في القوى الإنتاجية لمعظم الشعوب. مما أدى إلى القوس و السهم الذي يعد من الأسلحة المعقدة التي تتطلب تراكم هائل من الخبرات والتجارب واتساعاً في الأفق الإبداعي. لم يكن هذا العصر مقتصراً على القوس والسهم فقط، بل ظهرت أدوات إنتاجية جديدة مهمة مثل الأنصال والفؤوس المصنوعة من الحجر أو العظم. تميزت هذه الفترة بظهور الأسلحة المركبة مثل السكاكين، الخناجر، رؤوس السهام، والحراب، والتي كانت تتكون من مقبض خشبي أو عظم تُلصق به أمواس صوانية حادة.

ظهرت هذه التقنية في المناطق الجنوبية خاصةً في المراحل الختامية للعصر الحجري القديم الأعلى، لكنها وصلت إلى قمة ازدهارها في العصر الحجري الوسيط عندما انتشرت بشكل واسع في مناطق آسيا وأوروبا (ديفيد، مرجع سابق، ص 191).

الجدير بالذكر أن اختراع القوس والسهم شكل قفزة نوعية في تطور التقنية خلال العصور الحجرية. مقارنةً بالأدوات التي كانت تُستخدم بأسلوب القذف في الفترات

السابقة، كان القوس أكثر فعالية، فقد أتاح للصيادين والمحاربين القدامى إصابة الأهداف من مسافات أبعد مما كان يتيحه المقلاع المقذوف. أظهر القوس تفوقه على الأدوات الأخرى التي تعتمد على أسلوب القذف في العصر الحجري القديم. كان القوس خفيف الوزن، مما سهّل حمله واستخدامه، كما تميز بسهولة التعامل وسرعة التصويب. أدى انتشار استخدام القوس إلى دفعة هائلة في تطور اقتصاد الصيد، مما ساهم في تحسين مستوى حياة الصيادين. باختصار، كان القوس أداة ثورية في العصر الحجري، ساهمت في تحسين الكفاءة القتالية والصيد، وأدت إلى تحسين نوعية حياة المجتمعات التي استخدمته.

ثالثاً: العصر الحجري الحديث (8000-3000 ق.م):

أعقب العصر الحجري الوسيط عصر لاحق أُصْطُلِحَ على تسميته بالعصر الحجري الحديث (8,000–3,000 ق.م). في هذه الفترة، وبجانب محافظته على الأساليب السابقة لتصنيع الحجر والعظم، بدأ الإنسان في إدخال تحسينات على تلك الأساليب، بل تخطاها إلى ابتكار قفزة جديدة في مسار تطور تقنية الأدوات بإبداع أسلوب الصقل. إن ابتكار أسلوب الصقل كان له دور كبير في تطور الفأس الحجرية (المسمارية) الشكل المصقولة والمعول، حيث شكلا أداتين مميزتين لهذا العصر لم تكونا معروفتين من قبل. الفأس «المسمارية» كانت على شكل مسمار مفلطح بقطاع عرضي بحيث يبدو أقرب للشكل البيضاوي ولها حافتان مستقيمتان بعض الشيء، وتكون إحدى الحافتين أكثر عرضاً وأشد حدة من الأخرى، وتتراوح أطوالها ما بين 5–30 سم، أما المعول فهو قطعة من الصوان تعرضت للنحت بحيث تصبح إحدى حافتيه حادة نتيجة الضغط بالرتوش (النور، 1986، ص 207–208).

بجانب تطور المقدرات الإبداعية للإنسان في مجال تجهيز الأدوات، فقد سارت قدماً عملية تجهيز أسلحة القتل مثل الخناجر، رؤوس المزاريق، حجارة المقلاع، والحراب. كذلك نالت صناعة القوس والسهم تطوراً ملموساً إذ انتشرت رؤوس الأسهم الجديدة ذات الأشكال المختلفة في كل مكان. تمكن إنسان العصر الحديث من تحقيق تطور في صناعة الأسلحة بالمقارنة مع أسلافهم، ولا شك أن التطور الذي حققته تقنية صناعة القوس والسهم يعكس مدى النجاحات

التي حققتها قبائل العصر الحجري الحديث. فإنسان العصر الحجري الحديث لم يحسن فقط مستوى سلاحه الأساسي (القوس والسهم) وإنما طور كذلك أساليب نصب الشراك، وفي نفس الوقت أبدع العديد من الأساليب الخاصة باستهلاك غنائم الصيد مثل اللحم، الجلد، العظام، والقرون (المرجع نفسه، ص 207-208).

فالبيئة كانت هي الملهم والمعلم للإنسان، والفارض اللازم لنوعية التقنية التي يصنعها واتجاهات تطورها. بفضل قدرة الإنسان على الملاحظة والتعلم من البيئة، برع في صناعة الأدوات والتنظيم الاجتماعي، فتحول من كائن ضعيف إلى كائن مفترس ذي قدرات عديدة وفعالة (الماحي، 2003، ص 288). بفضل هذه التقنية، والتي من ضمنها تطور أدوات الصيد، أصبح الإنسان متفوقاً على جميع الكائنات، حيث انتقل من ممارسة الصيد العشوائي إلى صيد منظم وانتقائي. بذلك، تتضح تقنية العصور الحجرية المختلفة بكافة مراحلها (العصر الحجري القديم، الوسيط، والحديث) من حيث الشكل والحجم في صناعة الأسلحة، مما يعكس حاجة الإنسان إلى جلب الطعام والتعامل معه والدفاع عن نفسه ومجموعته. وهكذا تطورت التقنية وتعددت منتجاتها بتعدد الأغراض التي سعى الإنسان إلى تحقيقها.

2. أسلحة العصور الحجرية في السودان القديم:

عَرف إنسان السودان القديم منذ عصور ما قبل التاريخ نظام التسليح الفردي وكيفية صناعة الأسلحة وذلك في إطار تأمين حياته سواء أكان من ناحية طبيعية أم أمنية وذلك في مناطق ومواقع مختلفة. إن المناهج الدراسية المرتبطة بالعصر الحجري القديم والخاصة بالبحث الراهن في فترة ما قبل التاريخ في السودان قد استدلت في أغلب الأحيان بمجرد تصنيفات نمطية لمفهوم ودراسة أدوات هذا العصر، لذلك لا بد أن يهتم الباحثون قبل كل شيء بالمناطق الخاصة بالمدافن وما تحويه من أدوات، فالأسلحة جزء منها وهي مواد مغلقة لم تمس في أغلب الأحيان ويمكنها تقديم معلومات قيمة عن الحياة اليومية والنشاط الاقتصادي والتنظيم الاجتماعي بل وحتى المعتقدات الدينية.

كانت صناعة الأسلحة في العصور الحجرية على درجة من الخشونة، فقد

صنعت في بعض الأحيان من حجر الكوارتز وهو متوافر بكثرة على ضفاف الأنهار. حيث يمكن كسره للحصول على الشظايا التي تستخدم في القطع والبتر والكشط قبل رميها بعد استخدامها. الاستثناءات الوحيدة من الصفائح ذات الحافة المرنة والمشذبة بصورة دقيقة يمكن أن تُستخدم كرؤوس للرماح أو عناصر قاطعة للأدوات ذات المقبض (مثل المناجل والسكاكين).

أما الأدوات المصقولة من الصخر البركاني فهي أفضل صنعاً وهي عبارة عن فؤوس يدوية، بلطات، ورؤوس هراوات. تُعدُّ الهراوات سلاحاً ورمزاً للسلطة في آن واحد. أحياناً تكون الفؤوس مزخرفة بصورة شديدة الدقة وبشكل استثنائي مصنوعة من أسنان فرس النهر (رينولد، 1998، ص14).

بهذا نرى كيف أن الأسلحة في العصور الحجرية كانت بسيطة ومصنوعة من مواد متوفرة محلياً، مثل الكوارتز والصخور البركانية، وكيف أن هذه الأدوات كانت تلعب دوراً حيوياً في حياة الإنسان اليومي وفي توفير الحماية والأمان.

منطقة شمال السودان:

منطقة شمال السودان هي إقليم شاسع، لا تكاد تُعرف فيه فترة ما قبل التاريخ بشكل كافٍ، لكن حملات إنقاذ آثار النوبة كشفت عن تفاصيل أكثر مقارنة بمناطق أخرى. يمكن تتبع تطور المجتمعات وصناعة الأسلحة حتى الألفية العاشرة قبل الميلاد، حيث تميزت الأسلحة بالأشكال النصف دائرية التي كانت تُستخدم كشفرات مناجل أو رؤوس رماح أو مقذوفات صغيرة. (Honegger: 2004:27-32)

تبرهن التقنية المستخدمة في تصنيع الأسلحة على تطورها مع مرور الزمن، مثلما حدث في مناطق أخرى مثل أوروبا. في بلاد النوبة، دفعت الاختلافات الأساسية في التقنيات عددًا من الباحثين للتفكير في تطور مستقل لتقنيات متعددة دون وجود علاقة مباشرة بينها، حيث كانت لكل مجموعة تقنية محددة، مع بعض التفسيرات التي تعتمد على الوظيفة أو السياق الزمني .(Ibid: 27-32)

تعايشت في النوبة تقنيتان مختلفتان على مدى آلاف السنين. الأولى كانت تصنع شظايا بيضاوية عن طريق القطع المركزي، والمعروفة في أماكن أخرى باسم

الموقع الأثري الفرنسي ليفالوي (levalloisie) (رينولد، 1998: ص13). التقنية الثانية تعتمد على القطع بطريقة مختلفة تنتج شظايا ذات رؤوس حادة، وسميت بالقطع النوبي أو التشكيل النوبي، وتم تحديد عمرها بحوالي 100,000 سنة.

العصر الحجري القديم النوبي كان غنيًا ومتعدد التقنيات، منتجًا عدة حضارات متباينة تشكل في مجموعها خريطة حضارية متنوعة، من بينها حضارات: خور موسى، الأدفية، السبيلية، الفاخورية، الحلفية، الكبانية، الشمركية، وغيرها (Wendorf and Schild:1968:804-818). تركزت صناعاتها على إنتاج الشظايا والشفرات القزمية وغير القزمية، واستخدمت مواد خام متنوعة مثل الشيرت والعقيق، واختلفت نسب وأنواع الأدوات بين الحضارات.

لا شك أن النسيج الذي تمثله ثقافات متباينة تقنيًا، محصورة في رقعة جغرافية محدودة، وعاشت تحت ظروف مناخية قاسية وشح بيئي، يصعب تفسيره إلا كنتيجة لنزوح جماعات بشرية جاءت بثقافاتها من بيئات أخرى (محمد علي، 2003، ص14). تعكس هذه المنطقة تاريخًا غنيًا بالتنوع والتطور التقني والثقافي، مما يساهم في فهم أعمق لتاريخ البشرية في منطقة شمال السودان.

اعتمد سكان شمال السودان في اقتصادهم على استغلال النهر، حيث كان الصيد الوفير للأسماك والحيوانات المائية يلعب دورًا كبيرًا في حياتهم. وصف فريد وندورف هذا الوضع بالعدالة النيلية، ما يشير إلى أن هذه المجتمعات كانت تتمتع بنوع من الاستقلالية عن بعضها البعض. يتجلى هذا الاستقلال في الصناعات الحجرية التي تطورت بشكل مستقل. أدى هذا التطور إلى إنتاج أسلحة جديدة ومتطورة، ساعدت الإنسان على الاستقرار والبقاء.

مع التطور الحضاري والصناعي، تطورت صناعة الأسلحة، حيث اعتمد الإنسان في البداية على قوة يديه لجمع قوته والدفاع عن نفسه، ثم بدأ في استخدام فروع الأشجار لتحقيق نفس الأغراض. تؤكد الدراسات الحديثة وجود علاقة وثيقة وتشابه في ظروف فترة ما قبل التاريخ المتأخر في السودان القديم، حيث وجدت مجمعات صناعية دعمتها نسب عالية من الأدوات القزمية وأدوات الصيد الأخرى.

للوقوف على تطور وانتشار الأسلحة في منطقة شمال السودان، وخاصة في منطقة النوبة، سنستعرض نماذج لبعض المواقع الهامة. هذه المواقع ستساعدنا في فهم كيفية تطور هذه التقنيات والأسلحة، وكيف أسهمت في تشكيل الحضارات في هذه المنطقة.

موقع جبل الصحابة:

تقع مقبرة جبل الصحابة في شمال السودان، ويعود تاريخها إلى نهاية العصر الحجري القديم الأعلى المتأخر (Epipaleolithic). تحتوي المقبرة على 59 مدفناً تُعتبر أقدم دليل أثري على الصراعات العنيفة بين المجموعات البشرية في ذلك الزمن، حيث تضم رجالاً ونساءً وأطفالاً بالإضافة إلى الأدوات الحجرية وبعض المشغولات. تُعد الشظايا الحجرية الموجودة مع الهياكل العظمية وفي بعض الحالات داخلها، أدوات قتل للبشر. وتشمل هذه الشظايا المشذبة والمتصلة بأخرى، وأخرى ذات شكل نصف دائري «هلالية» مميز (Ibid: 954-995). تعود أدوات النقش والأطراف والشظايا إلى الفترة ما بين 10,000-12,000 ق.م.، وتميزت تلك الفترة بشيوع صناعة الرقائق بما فيها القطع نصف الدائرية (Wendorf and Schild: 2004: 113).

موقع كدركة:

يقع موقع كدركة جنوب الشلال الثالث بحوالي 50 كيلو متراً، ويعود إلى فترة الهولوسين (Holocene) والعصر الحجري الوسيط (Mesolithic). يحتوي الموقع على حوالي عشرين جبانة تعود إلى الفترة ما بين الألف السادسة والرابعة قبل الميلاد، مما يوفر معلومات حول تطور العادات الجنائزية على مدى ألف عام (رينولد، 2000، ص76). يحتوي الكوم «كدك1» على 142 مقبرة، 96 منها تعود للعصر الحجري الحديث و46 لحضارة كرمة. عُثر فيها على رؤوس هراوات، والتي كانت مخصصة فقط للمدفونين من الذكور، وتعود هذه الجبانة إلى الفترة ما بين 4500-4350 ق.م. وفترة العصر الحجري الحديث حوالي 4000 ق.م (المرجع نفسه، ص77). تُعتبر رؤوس الهراوات رمزاً للسلطة، وفي بعض الأحيان وُجدت أكثر من واحدة في المقبرة، مما يدل على مكانة اجتماعية رفيعة للمدفون (رينولد، مرجع سابق، ص16). كما عُثر على مواد

ذات مقابض دقيقة مثبتة بمادة لاصقة في عنق مطول، مما يشير إلى وجود تنظيم اجتماعي استمر طويلاً خلال الألف الثالث قبل الميلاد.

منطقة وسط السودان:

مكّنت مواقع وسط السودان من وضع تسلسل تاريخي معترف به بصورة عامة. العصر الحجري القديم يمثله موقع خور أبوعنجة، ثم الخرطوم القديمة، ثم الشهيناب. يلي ذلك طور ذو طقس أشد جفافاً (ثقافة الكدادة) التي قامت بدور حلقة الوصل مع مراحل ما قبل التاريخ في وسط السودان. نذكر المواقع التالية كمثال:

موقع خور أبوعنجة:

يعود موقع خور أبوعنجة في وسط السودان إلى العصر الحجري القديم الأسفل (300,000-120,000 ق.م). عُثر فيه على فؤوس يدوية (الفؤوس الآشولية) ذات شكل كمثري بمقطع عرضي مقعر، يبلغ طولها ما بين 12-20 سم، وتميز الطرف الأمامي بشفة حادة نسبياً (Arkell:1949a: 41). كما عُثر على أداة تُسمى «ساطور» مشابهة للفؤوس اليدوية تُستخدم في الصيد والتحطيب وسلخ جلود الحيوانات وأحياناً في الدفاع عن النفس.

موقع حضارة الخرطوم القديمة:

ازدهرت حضارة الخرطوم القديمة (Early Khartoum) خلال العصر الحجري الوسيط (7000-5000 ق.م) (Arkell: 1949a:5). لم يكن الإنسان في هذه الفترة قد توصل بعد إلى استخراج المعادن، واستخدم بدلاً من ذلك الحجارة، خاصة حجر الصوان الذي يتميز بصلابته، وربما كان يُحصل عليه من منطقة الشلال السادس شمال الخرطوم (Ibid: 41). لم تقتصر صناعة الأسلحة على الحجر فقط، بل استخدموا عظام الحيوانات في صنع الأسلحة مثل الخطافات المزودة بشوكة جانبية لصيد الأسماك ورؤوس السهام لصيد الحيوانات البرية. كما استخدموا الأخاديد الرفيعة حول الجزء الأعلى من النصل لتثبيتها بحبل مصنوع من الجلد أو ألياف لحاء النبات (لوحة رقم 2).

لوحة رقم (2) خطاف من موقع حضارة الخرطوم القديمة
(after Arkell 1949)

لعبت البيئة التي عاش فيها أصحاب حضارة الخرطوم القديمة دوراً مهماً في تحديد نوعية الأسلحة التي استخدموها للصيد والبقاء. كانت حياتهم مليئة بالصراعات مع الوحوش والحيوانات الأخرى، وكانوا يضطرون أحياناً لقتلها دفاعاً عن النفس، وأحياناً أخرى كمصدر للغذاء، خاصة أنهم لم يتوصلوا بعد إلى استئناس الحيوانات.

موقع الشهيناب:

تطورت صناعة الأسلحة في حضارة الشهيناب (Shaheinab Culture) التي أعقبت حضارة الخرطوم القديمة والتي تمثل حضارة العصر الحجري الحديث. يُلاحظ هذا التطور في صناعة الخطاف ذي الأسنان، حيث تم استحداث ثقب في قاعدة النصل المصنوع من العظم لتسهيل ربطه بالخيط (لوحة رقم 3). أما رؤوس السهام التي وُجدت في موقع الشهيناب، فقد صُنعت من الحجارة ولم تختلف كثيراً عن تلك التي وُجدت في موقع حضارة الخرطوم القديمة. (Arkell: 1953:65)

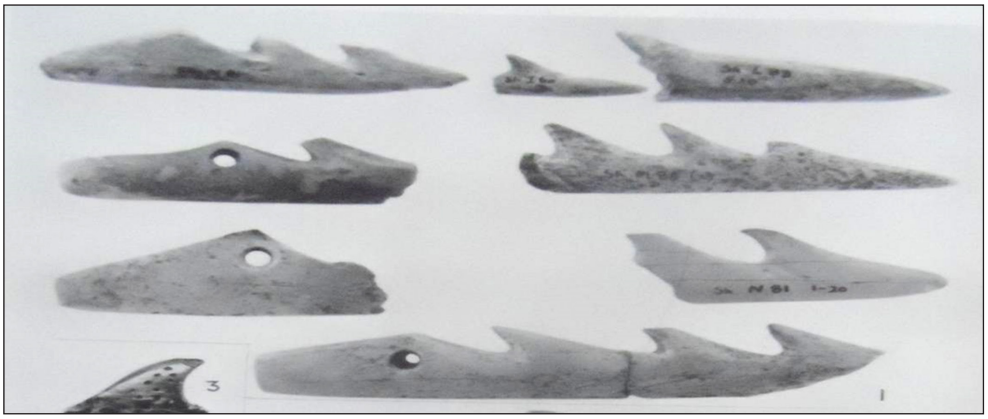

لوحة رقم (3) رمح ذو أسنان من موقع الشهيناب
(after Arkell 1953)

موقع الكدادة:

يقع موقع الكدادة في منطقة شندي، على مسافة 180 كيلومتر شمال الخرطوم، ويعود إلى العصر الحجري الحديث المتأخر (النصف الأول من القرن الرابع قبل الميلاد). يتكون الموقع من هضبة كبيرة تضم موقعاً سكنياً يمتد لعدة كيلومترات. في الجزء الجنوبي من الهضبة توجد جبانة تحتوي على عدد من المقابر.

يقدم الأثاث الجنائزي في هذا الموقع أنماطاً مختلفة من الفؤوس اليدوية المصنوعة من حجر الجرانيت والحجر الرملي النوبي. بعض الفؤوس مطلية عند الحد القاطع، بينما تُركت أجزاء أخرى خشنة، مما يشير إلى تنوع النشاطات. تميزت هذه الفؤوس بتطورها لتلائم تجويف المقبض. بالإضافة إلى ذلك، تم العثور على مكاشط مصنوعة من الشيرت والكوارتز والرايولايت (رينولد، 1998، ص15). كما تم اكتشاف تقنية حجرية أخرى تُعرف بخواتم الإبهام، التي استُخدمت خلال فترتي مروي وما بعد مروي. وعلى الرغم من أن الصناعات الميكرولوثية (القزمية) تشابه تلك الخاصة بإنسان عصور ما قبل التاريخ، فقد عُثر في موقع الكدادة أيضاً على مقابر تعود إلى فترة الحضارة المروية وفترة ما بعد مروي، تحتوي على رؤوس سهام حديدية مؤرخة بفترة مروي «الكلاسيكية» و«المتأخرة». سيتم توضيح هذه الاكتشافات خلال الفصل الثالث (لوحة رقم 4). (Geus: 1984: 53)

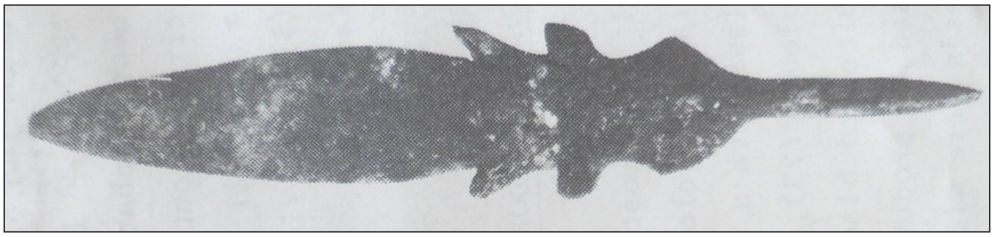

لوحة رقم (4) رأس سهم من موقع الكدادة، فترة مروي
(after Geus: 1984)

بنظرة شاملة على الأثاث الجنائزي، وخاصة الأسلحة الحجرية والعظمية التي توضع في يد المتوفى وتوزع باقي العناصر حول الجثمان، يتضح لنا مكانة المتوفى بين المجموعة المدفونة وثروته. مقارنةً مع موقع الكدرو، يتبين أن هناك تنظيماً مختلفاً كلياً قد حدث (Ibid: 13). في منطقة الكدادة، تحديداً في مقبرة KDK1 بالناحية الشمالية، عُثر على فأس صغير وثلاث رؤوس مدقات ونموذج مصغر لفأس من العاج، بالإضافة إلى أربعة رؤوس مدقات أخرى شكلت مجموعة مختلفة. فوق الهيكل العظمي وُضع رأس مدق مخروطي، مما يدل على أهمية المدفون باعتباره أهم شخص في المجموعة (رينولد، 2003، ص18).

عثرت وحدة الآثار الفرنسية بالهيئة العامة للآثار والمتاحف على مطرقة أسطوانية الشكل من الحجر بارتفاع 1.3 سم وقطر 17.9 سم في المقبرة KDK22، تعود إلى فترة العصر الحجري الحديث، باستثناء الثقب الموجود على طرفيها لوضع المقبض، وكان سمكها رقيقاً جداً. وُضعت في المدفن كدليل على مكانة المتوفى وكسلاح احتفال (Geus: 1982:16). كما عُثر على بلطة في القبر KDK1 من الحجر بطول 22.3 سم وعرض 6.5 سم وسمك 4.9 سم، مصقولة من حدها القاطع فقط، ولم تظهر عليها آثار استخدام، مما يرجح أنها استُخدمت كسلاح استعراض أو احتفالات .(Geus: 1979:87)

من خلال دراسة الفن الصخري ومقارنة السياقات الإثنوغرافية، يتضح أن الأدوات القزمية والهلالية كانت الأكثر استخداماً كأسلحة مركبة، تُقذف خصوصاً السهام. بحلول الألفية الثالثة قبل الميلاد، ظهرت الأسلحة بشكل واضح في رسومات الصيادين، مثل القوس والسهم والأزميل، إلى جانب الرمح والفأس والصولجان

بمقبض قصير والعصا المعقوفة الشكل (المجداع) والسكاكين الحجرية والوهق، وهو حبل غليظ يستخدم في صيد الحيوانات. (Clark: 1974:323-388)

تعددت المواقع التي حوت أسلحة حجرية خلال العصور الحجرية بالسودان. فعلى سبيل المثال، عثرت بعثة الآثار الفرنسية بجزيرة صاي على فأس يدوية من الحجر الرملي بطول حوالي 18.9 سم، ذات شكل رمحي تشابه الفؤوس في العصر الحجري القديم المبكر والمعروفة بالأشولية، وهي أداة متعددة الأغراض تستخدم في الحفر والتقطيع وربما استخدمت كسلاح.

في موقع السقاي شمال الخرطوم، الذي يعود إلى فترة العصر الحجري الوسيط، تمثل القطع الدائرية حوالي 40% من القطع الموجودة بالموقع، وهي بأبعاد مختلفة (Caneva: 1983: 209-233). تنوعها وأحجامها والنقوش والآثار التي عُثر عليها ربما تشير إلى استعمالها كشرائح قذائف. في موقع البرقة، الذي يبعد حوالي 15 كيلومتراً عن النيل، وُجدت مشغولات حجرية مصنوعة من شظايا محلية، تمثل كل مراحل تقلص الشظية والشفرات في الموقع. تشكل القطع الدائرية حوالي 31% من الأدوات، مضافاً إليها القطع المركبة والمكاشط ورؤوس السهام، مؤرخة للفترة بين 7500-7100 ق.م. .(Hongger:2008: 24)

توجد أدلة تشير إلى أن السكاكين والأنصال ورؤوس الحراب كانت مصنوعة من الحجر وليس المعدن، نظراً لعدم العثور على أدوات صغيرة وبسيطة جداً مصنوعة من المعدن في تلك الفترة. بعض الأدوات مثل عصي الرمح (المجداع) والقوس والسهام ذات رؤوس مصنوعة من المعدن بدلاً من الحجر، واستمر وجود الصولجان والوهق. لم يطرأ على معظم هذه الأسلحة تغيير كبير، خاصة في الدراسات الإثنوغرافية في إفريقيا، مما يعطينا مثالاً على طول الفترة الزمنية التي استمرت فيها بعض الصفات التكنولوجية في السودان.

يُعد القوس والسهم من أسلحة الصيد الرئيسية عند السودانيين، كما كان الحال عند جميع شعوب الشرق الأوسط وأفريقيا. يظهر فن الرسومات الصخرية أن الأقواس والسهام الشخصية مرت بقليل من التعديل منذ فترة ما قبل التاريخ وحتى نهاية العصور الكوشية، مما يوضح الإمكانيات التقنية المتاحة لعصور ما قبل التاريخ في السودان.

خلال عمل بعثة جامعة هامبولد الألمانية بمنطقة الشلال الرابع، تم العثور على فأس يدوية رمادية تشابه الفؤوس اليدوية في فترة العصر الحجري الحديث في الخرطوم، بطول 7.7 سم وعرض 4.5 سم وسمك 2.8 سم. من المؤكد أنها استخدمت في طرق الأشياء الثقيلة. أيضاً، معول الفأس يظهر عليه ضربات وأثر تهشيم. في موقع الجيلي، هناك فأسين مشابهتين ضمن حفريات إيزابلا كينيقا (Caneva:1983:364)، وفأس عثر عليها في موقع الغابة خلال أعمال فرانيس قيس .(Geus: 1983:19)

عثرت بعثة الآثار البولندية في الشلال الرابع على فؤوس يدوية تعود إلى العصر الحجري القديم الأسفل في منطقة الجبل، وفي موسم 2002، عثرت بعثة متحف قدانسك في الموقع المسمى HP112 على رقائق حجرية مؤرخة لفترة العصر الحجري القديم الأوسط. في موقع HP136، عُثر على رقائق ليفالوائية برتوش وطرف حاد تعود إلى فترة العصر الحجري القديم الأوسط والعصر الحجري الحديث، مصنوعة من حجر الشيرت، مؤكدة أنها استخدمت للقطع (Borcow:2005: 205-206. & Paner)

في منطقة وادي هور، عثرت بعثة الآثار الألمانية على فؤوس حجرية في المنطقة المسماة أسفل وادي هور، مؤرخة إلى القرن الثاني قبل الميلاد، وتسمى بنوع الفؤوس الدارفورية. معظمها وُجدت داخل المقابر، مما يشير إلى دلالات رمزية. وُجدت أيضاً رؤوس سهام حجرية مختلفة الأحجام ومكاشط. (Keding: 1997: 30)

العرض السابق للأسلحة يدل على أهمية النماذج السودانية القديمة لفهم عصور ما قبل التاريخ في إفريقيا، ويعطي فكرة عن استمرارية السمات العامة لأهم أشكال الأسلحة في جميع أجزاء السودان القديم منذ الفترات المتأخرة للعصر الحجري القديم إلى العصر الحجري الحديث.

دراسة الأسلحة في السودان القديم عبر مختلف الفترات منذ عصور ما قبل التاريخ والعصور اللاحقة تقدم أمثلة على الأسلحة المصنوعة من الحجارة، العظام، والمعدن، ومن ثم انتشرت في إفريقيا ككل. كشفت الحفريات الأثرية في السودان عن كميات كبيرة من اللقى الأثرية، مثل الأقواس والسهام والفؤوس،

لكنهـا لـم تُنـشر بعـد. تشـابه هـذه الأدوات الأدوات المسـتخدمة مـن قبـل شـعوب البوشـمن في فـترات مـا قبـل التاريـخ، والأدوات المسـتخدمة في الفـترات المتأخـرة مـن فـترة مـا قبـل التاريـخ في إفريقيـا جنـوب الصحـراء.

3. تطور الأسلحة عبر العصور البرونزية: (3300 - 1200 قبل الميلاد)

العـصر البرونـزي هـو فـترة تاريخيـة تمتـد مـن حـوالي 3300 قبـل الميـلاد إلى 1200 قبـل الميـلاد، وتميـز باسـتخدام البرونـز ووجـود الكتابـة البدائيـة في بعـض المناطـق، وغيرهـا مـن السـمات المبكـرة للحضـارة الحضريـة. يُعـد العـصر البرونـزي الفـترة الرئيسـة الثانيـة لنظـام العصـور الثلاثـة الـذي اقترحـه كريسـتيان يورجنسـن تومسـن في عـام 1836 لتصنيـف ودراسـة المجتمعـات القديمـة.

اسـتخدام تعريـف العـصر البرونـزي في الحضـارات القديمـة لأنهـا إمـا أنتجـت البرونـز عـن طريق صهـر النحـاس وخلطـه بالقصديـر أو الزرنيـخ أو معـادن أخرى، أو تبادلـت البرونـز مـع مناطـق إنتاجـه الأخـرى. كان البرونـز أكثـر صلابـةً ومتانـةً مـن المعـادن الأخـرى المتاحـة في ذلـك الوقـت، ممـا أتـاح لحضـارات العـصر البرونزي ميـزة تكنولوجيـة. رغـم وفـرة الحديـد الأرضي بشـكل طبيعـي، فـإن درجـة الحـرارة العاليـة المطلوبـة لصهـره (1250 درجـة مئويـة) وصعوبـة العمـل معـه جعـلاه غـير متـاح للاسـتخدام الشـائع حتـى نهايـة الألفيـة الثانيـة قبـل الميـلاد. درجـة انصهـار القصديـر المنخفضـة (231.93 درجـة مئويـة) ونقطـة انصهـار النحـاس المعتدلـة نسـبياً (1085 درجـة مئويـة) كانـت ضمـن قـدرات أفـران الفخـار مـن العـصر الحجـري الحديـث، التـي يعـود تاريخهـا إلى 6000 قبـل الميـلاد وكانـت قـادرة عـلى إنتـاج درجـات حـرارة أعـلى مـن 900 درجـة مئويـة.

بـدأ العـصر البرونـزي في النوبـة في وقـت مبكـر، بـدءاً مـن عـام 2800 قبـل الميـلاد. وقـد عُثـر عـلى فـرن للصـب البرونـزي في كرمـة يعـود تاريخـه إلى 2300 قبـل الميلاد. تتضمـن فـترات تطـور الأسـلحة في السـودان القديـم مـا يـلي:

أولاً: المجموعة (أ) (3700 - 2800 ق.م):

خلال النصف الأول من الألف الرابع قبل الميلاد، ظهرت في النوبة السفلى مجموعة حضارية أطلق عليها العالم جورج أندرو رايزنر اسم المجموعة (أ). لم يجد رايزنر مثيلاً لهذه المجموعة إلى الشمال من منطقة أسوان. البلاد التي يقطنها أهل المجموعة (أ) عرفت ببلاد الأقواس «تاستي-Ta-sete»، حيث كشفت الوثائق المصرية عن دور رماة الأقواس الكوشيين في الجيوش الفرعونية المصرية (لوكلان، 1997، ص32). تشمل قبور المجموعة (أ) فؤوساً يدوية ومثاقب نحاسية وهراوات وسكاكين، وهي أقدم الأدوات المعدنية التي اكتشفت في السودان حتى الآن وتعود إلى الألف الرابع قبل الميلاد (Nordstrom:1972:p27). العصا المعقوفة (Boomerang) ارتبطت بمفهوم ديني كتعويذة تسلح بها الشخص الميت (Emery:1965: 125). في منطقة النوبة السفلى، عُثر أيضاً على أسلحة نحاسية وهراوات ذات مقبض مغطى بالذهب ومزين بالحيوانات، كانت تستعمل للتفاخر والتمايز بين الرؤساء. (Säve-Söderbergh: 1962: 13)

ثانياً: المجموعة (ج) (2300 - 1500 ق.م):

ظهرت في النوبة السفلى ثقافة جديدة ومستقلة بأشياء متميزة وتقاليد مختلفة، أطلق عليها رايزنر اسم المجموعة (ج). تنتمي هذه الثقافة للعصر النحاسي واستمرت حتى القرن السادس عشر قبل الميلاد. عُثر في مقابر المجموعة (ج) على خناجر وسيوف قصيرة وبلط قتال، مما يشير إلى أن هؤلاء الأموات ربما كانوا يمثلون سلطة اجتماعية أو سياسية داخل مجتمعهم. الأدوات الحجرية النمطية للمجموعة (ج) تشمل الأداة القاطعة المصقولة المصنوعة من الحجر الأخضر (النقريت) (Säve-Söderbergh:1981: 48). تطورات صناعة الأسلحة ارتبطت بالتحصينات، حيث تعلم الناس الكثير عن البناء، مما جعل تطوير التحصينات أمراً ممكناً. الحفريات في النوبة في النصف الثاني من القرن الماضي خلال حملة إنقاذ آثار النوبة تحت رعاية اليونسكو كشفت عن مجموعة من الحصون التي بُنيت كخط دفاعي لتأمين الحدود في عهد الدولة المصرية الوسطى (1878-1840 ق.م) في منطقة «بطن الحجر». في حصن مرقسا، عُثر

على مستودع للأسلحة احتوى على رماح وحراب ورؤوس سهام وسكاكين حجرية، موضوعة بعناية شديدة (لوكلان مرجع سابق، ص32).

ثالثاً: فترة كرمة (2400 - 1500 ق.م):

تقع كرمة على بعد 40 كيلومتراً شمال دنقلا وجنوب الشلال الثالث، وهي واحدة من أقدم المراكز الحضارية في إفريقيا جنوب الصحراء. كرمة كانت مركزاً تجارياً رئيسياً على الطريق الذي يربط مصر وعالم البحر الأبيض المتوسط. قدمت المقابر في كرمة أشياء تُوضع مع المتوفى لاستخدامها في العالم الآخر، بعض هذه المحتويات محلي وبعضها متأثر بالطابع المصري. استخدمت حضارة كرمة نوعاً مشابهاً من الخناجر التي عُثر عليها في مصر، مصنوعة من البرونز والعاج والجلد، وعُرفت بالخنجر النوبي. الأسلحة المعدنية المصنوعة من البرونز تضمنت سكاكين وخناجر (لوحة رقم 5) وسيوف قصيرة وفؤوس. الفؤوس اليدوية التي عثر عليها شارلس بونيه في كرمة أُرخت إلى فترة كرمة الوسيطة والكلاسيكية، ومصنوعة من الحجر الرمادي (Bonnet: 1992: 150). عثر رايزنر على خناجر برونزية في مقبرة K.1620 ذات شفرة حادة ورقيقة واستخدم فيها العاج، وكانت مربوطة بمسامير ووضعت بين أرجل المتوفى، وهي مقبرة لأمير في مقتبل العمر، طول الخنجر حوالي 56 سم، ومن خلال تفاصيله يتضح أنه محلي الصنع. (Vercoutter: 1960:265). معظم محتويات هذه المقابر كانت إنتاجاً محلياً، خاصة الخناجر، مما يؤكد على أن أصحابها كانوا محاربين. وبعضها يحتوي على بقايا جلد ربما كانت لغمد.

لوحة رقم (5)، خنجر من حضارة كرمة الفترة الكلاسيكية (تصوير الباحث)

عثرت بعثة متحف قدانسك البولندية في موقع العرقوب بالشلال الرابع على فأس يدوية طولها بين 7.7 سم وعرضها بين 4.5 سم وسمكها 2.9 سم، تشبه الفؤوس المعروفة في فترة حضارة كرمة الوسيطة وكرمة الكلاسيكية(Kolosowska & El-Tayeb: 2003: 129) يبدو أن شيوع استعمال هذا النوع من السلاح في النوبة ومصر أدى إلى تمازج الخبرات الفنية في صناعة الخناجر، حيث وجود الخنجر D14 المختلف عن سائر الخناجر المعاصرة في مصر قاد رايزنر للاعتقاد بأن هذا الخنجر هو نتاج للعلاقات التي كانت سائدة بين مصر وكرمة. في عهد المملكة المصرية الحديثة، اتخذت صناعة الخناجر مساراً جديداً، حيث كانت تصنع غالباً لتكملة الزينة الملكية أكثر من كونها قطعة سلاح (قسم السيد: 1970: ص12).

خلال حفريات بعثة جامعة هارفارد بقيادة جورج رايزنر في عام 1915، عثرت البعثة على رأس حربة من البرونز مطلية بالذهب طولها 16.6 سم في مقابر منطقة كرمة، والتي لا توجد بها زخارف، وكان هذا النوع من الحراب يستخدم في الطقوس الجنائزية. كما عثرت بعثة جامعة جنيفا في 1984 على رأس حربة صغير من البرونز، يتميز بخط في منتصفه وعلى جانبيه، وهي مميزة بحالة جيدة، حيث تساعد هذه الخطوط في سرعة تصويب الرمح.

عرف أصحاب حضارة الخرطوم القديمة استخدام القوس، وربما يكونون أول من استخدم هذا النوع من السلاح في حوض النيل، وانتقل بعد ذلك إلى حضارة الشهيناب التي تمثل حضارة العصر الحجري الحديث. كان المصريون يشيرون إلى البلاد الواقعة جنوب بلادهم باسم «تاستي»، التي لم تحدد بعد بصورة دقيقة جنوباً، إلا أن علماء التاريخ المصري القديم يرون أن بلاد تاستي تمتد جنوباً حتى مدينة سمنة بالقرب من الشلال الثاني. لكن إذا نظرنا إلى النصوص التي تركها الملوك الكوشيون، يتضح لنا أن لفظ «تاستي» أطلقه بعض الملوك على أنفسهم مثل الملك تهارقو (690-664 ق.م) والملك أسبلتا (593-568 ق.م) والملك أرنخماني (322-315 ق.م) من الذين لقبوا بـ «سادات تاستي العظماء" (Dunham: 1949: 97). أقدم نقش لوجود القوس في النوبة السفلى هو المنظر الحربي الذي خلفه الملك جر، من الأسرة الأولى في الدولة

المصرية القديمة، على صخر جبل شيخ سليمان جنوب منطقة بوهين، يحكي عن حملة حربية قام بها هذا الملك المصري ضد تاستي تمكن خلالها من أسر زعيمها. (Arkell: 1953: 27-30)

من الرسم، يمكن استنتاج أن هناك رجلاً بذراعين مقيدتين خلف ظهره ممسكاً بقوس، مما يشير إلى استخدام الكوشيين للقوس في تلك الفترة، والذي كان يسمى باللغة المصرية القديمة «سيتي»، ويجسد «تا-سيتي» أي أرض الأقواس وهي النوبة. ذكر هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد أن الجنود الكوشيين كانوا يلبسون جلود نمور وأسود ويحملون أقواساً كبيرة طولها أربعة أذرع مصنوعة من أغصان النخيل، وسهاماً مصنوعة من القصب بدلاً من الحديد، مدببة الرؤوس حادة، ورماحاً من قرون الظباء حادة.

في هرم الملك تهارقا عثر رايزنر على رأس رمح مصنوع من الحديد، ووجود هذه القطعة في هرم تهارقو لا يعني بالضرورة أن الكوشيين قد توصلوا إلى طريقة استخراج الحديد واستخدامه في أسلحتهم، لأن رأس الرمح الحديدي هذا يُعدُّ القطعة الوحيدة التي وجدت في هذه الفترة في كوش وقد لُفَّ بصحيفة من ذهب، مما يدل على أنه عُدَّ شيئاً ثميناً ونادراً. (Dunham: 1955: 15)

من المرجح أن هذه القطعة لم تصنع محلياً إذ أثبتت الدراسات أن الكوشيين لم يتوصلوا إلى كيفية صهر الحديد إلا في القرن السادس ق.م. ومن ثم بدأوا في استخدامه بكثرة، خاصة في تصنيع رؤوس السهام والسيوف والحراب المتعددة الأشكال (خبير، 2000، ص43-44).

عثرت بعثة جامعة هارفارد ومتحف الفنون الجميلة ببوسطن في عام 1917 على سكين من الذهب طولها 18.5 سم، وعرضها 2.6 سم، وسمكها 5 ملم في الدرج المؤدي إلى غرفة الدفن في هرم Nu3 للملك أتلانرسو ابن الملك تهارقا. يعود هذا الاكتشاف إلى فترة نبتا، وقد استخدمت السكين في المراسم الجنائزية لتنفيذ شعيرة فتح الفم.

4. وظيفة الأسلحة:

تختلف أنواع الأسلحة وأشكالها بناءً على العصر الذي ظهرت فيه، والمواد التي صنعت منها، والمؤثرات الحضارية التي تعرضت لها، والغرض الذي صممت لأجله. يمكن تصنيف أدوارها إلى:

أولاً: أسلحة الصيد:

معظم أسلحة الصيد كانت ثقيلة مثل السواطير والفؤوس الحجرية (الفؤوس الآشولية-الفؤوس الموستيرية)، وأخرى حادة ومدببة مثل السكاكين والأداة الثنائية والمعول والمكاشط الجانبية. تشمل هذه الأدوات الحجرية الدقيقة، والتي أهمها رؤوس السهام (الماحي، 2001، ص 289). تمثل هذه الأدوات حضارات العصور الحجرية بمختلف مراحلها في السودان، حيث يظهر تقدمها وتطور تقنيتها من حيث الحجم والوزن. استخدم السودانيون عبر العصور السكين كواحدة من أهم الأدوات متعددة الاستخدامات في حياتهم اليومية، سواء في الصيد أو في الحرب. كما استخدموا عصى الرمح (المجداع) في صيد الحيوانات.

ثانياً: اسلجة الحرب:

في الفترة المتأخرة من العصر الحجري القديم، مع زيادة القوة والاستقرار، ظهرت الصراعات الداخلية والحروب بين المجموعات السكانية. هذا أدى إلى تطور حرفية متخصصة في صناعة أدوات القتال، مما أزهر صناعة الظران الذي صنع منه رؤوس سهام متطورة. استخدمت الشظايا البسيطة كرؤوس قذائف، والقطع الدائرية الكبيرة كمقابض للرماح، والصغيرة كرؤوس للطعن. كانت القوس والرمح سلاحين يمكن استخدامهما من مسافة بعيدة، مما يقلل من الاشتباك المباشر على عكس السكين والخنجر والسيف.

ثالثاً: أسلحة الطقوس الدينية والجنائزية:

بعد استقرار المجتمع السوداني وظهور الطبقية، ظهرت شريحة من الناس تستخدم أسلحة ذات خاصية جنائزية (عقائدية). في منطقة الكدادة، وُجدت فؤوس مطلية في إحدى المقابر، موضوعة فوق جثة المتوفى، مما يشير إلى دورها الجنائزي. بعد إدراك خصائص البرونز، استخدم في صناعة الأسلحة،

خاصة الخناجر التي وجدت رواجاً في السودان، وعُرفت بالخنجر النوبي. هذه الخناجر غالباً ما كانت تصنع لتكملة الزينة الملكية أكثر من كونها قطع سلاح للاستخدام العادي.

الخاتمة:

في الختام، يتضح أن تطور صناعة الأدوات الحجرية شهد تطوراً كبيراً في صناعة الأسلحة. بدأ السودانيون بصناعة الأسلحة من الحجارة، وتؤكد الأدلة الأثرية أن أول سلاح استعمله الكوشيون هو الفؤوس المصنوعة من الحجارة، والتي عرفت بالفؤوس اليدوية. في البداية، لم تكن هذه الفؤوس أدوات قتالية، بل أدوات لجمع الثمار وصيد الحيوانات، ثم تطورت لتشمل السيوف والسواطير والفؤوس الحربية المصنوعة من مواد قوية وصلبة. توافر رؤوس الحراب والسكاكين المصنوعة من الصوان المصقول خلال فترات العصور القديمة يدل على أن عملية إحلال الأدوات المعدنية مكان الأدوات الحجرية كانت تدريجية.

بعد استقرار الإنسان في بلاد السودان القديم، بدأت صناعة الأسلحة تتطور، وبدأوا بصنع أسلحتهم من الأخشاب والعظام والنحاس والبرونز، وتشمل هذه الأسلحة الفؤوس الحربية والخناجر والسواطير والهراوات والحراب والسيوف والمقاليع. أهم تلك الأسلحة كانت الأقواس والسهام التي ظلت تحتل موقعاً مهماً في تسليح الجيوش حتى نهاية دولتهم. تظهر النقوش التاريخية أن القوس كان مستخدماً في كوش قبل استخدامه في مصر القديمة، حيث عرّف المصريون القدماء أهل كوش بـ «ذوي الأقواس»، دلالة على استخدامه في بلاد كوش وانتقاله بعدها إلى مصر. القوس كان رمز النوبة في اللغة الهيروغليفية «تا-سيتي.“

تصنيع كل هذه المواد يظهر التنوع الحرفي والتقني في الحضارة السودانية. ظهور الأسلحة بمختلف أشكالها عبر العصور التاريخية كان نتيجة طبيعية للحاجة إليها، سواء كان الدافع ابتكار وسيلة للحصول على الغذاء أو اختراع أداة لصد المخاطر.

المصادر والمراجع

المراجع العربية:

(1) خبير، عبد الرحيم محمد (2000) «السودان القديم: بداية صناعة الحديد في أفريقيا»، مجلة أدوماتو، العدد الأول، ص 42-49.

(2) رينولد، جاك (2000) الآثار في السودان: حضارات بلاد النوبة، ترجمة: صلاح محمد أحمد، باريس، فرنسا.

(3) رينولد، جاك (2003) «العصر النيوليثي في السودان»، ممالك على النيل، مؤسسة لاكشيا، ص16-17.

(4) ديقيد، فيلبسون (2002) علم الآثار الأفريقي: دراسة في ماقبل تاريخ القارة الأفريقية حتى الألفية الميلادية الثانية، ترجمة: أسامة عبد الرحمن النور، منشوراتELGA .

(5) فانتيني، ج (1978) تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث، الخرطوم، السودان.

(6) قسم السيد، علي (1987) «الأسلحة الأثرية ومدلولها الحضاري في حوض النيل الأوسط والأسفل من منتصف العصر الحجري وحتى القرن الأول قبل الميلاد»، مجلة المنهل، ص56-67.

(7) لوكلان، جان (1997) «مصر في السودان الإمبراطوريات القديمة والوسطى(2600-1650ق.م) «، ممالك على النيل، ص32-37.

(8) الماحي، علي التجاني (2001) «أثر البيئة في تقنية العصر الحجري: أدلة حجارة شرك الصيد من الألف السابع قبل الميلاد في عُمان» مجلة أدوماتو، ص287-302.

(9) محمد علي، العباس سيد أحمد (2003) «النيل والصحراء خلال العصور الحجرية تباين بيئي وتكامل حضاري»، مجلة أدوماتو، العدد السابع، ص7-30.

(10) النـــور، أســـامة عبـــد الرحمـــن (1986) مجتمعـــات الاشـــتراكية الطبيعيـــة، أورتنـــال للنـــشر والطباعـــة والتوزيـــع ، مدريـــد، ألمانيـــا.

المراجع الأجنبية:

(1) Arkell. J. (1949) a Early Khartoum, Oxford university press, London.

(2) Arkell. J. (1949) b Early Khartoum, Oxford university press, London.

(3) Arkell. J. (1953) Shaheinab, Oxford university press, London.

(4) Bonnet. CH (1992) a, Excavations at the Nubian Royal Town of Kerma, 1975–91, Antiquity 66:611–25.

(5) Caneva. I. (1983) a, Geili. Saggai , Orientalia.

(6) Clark. J. and Philips. J (1974) "Interpretation of Prehistoric Technology from Ancient Egyptian and other Sources, Part 1: Ancient Egyptian Bows and Arrows and their relevance for Prehistory", Paleorient, vol 2.p 323– 388.

(7) Dunham.D and Janssen. J. (1949) Second Cataract Forts Semna–Kumma, vol 1, Museum of Fine Art, Boston.

(8) Dunham.D. (1955) "Nuri" Cambridge: Mass, The Royal Cemeteries of Kush, vol 2,Boston

(9) Emery. B. (1965) Egypt in Nubia, London.

(10) Gesus.F. (1979) Fouilles à Saï, Etudes Nubiennes, BDE 77. Le Caire:97–105.

(11) Gesus.F. (1982) "El kadada une Civilsation du 4e Millénaire sur les Rives du Nil Soudanais", Archéologia 170: p24–33

(12) Gesus.F. (1984) Rescuing Sudan Ancient Cultures, French Unit of the Directorate General of Antiquities and National Museum of the Sudan, Khartoum.

(13) Hongger. M. (2004) "Settlement and Cemeteries of the Mesolithic and Early Neolithic at El–Barga (Kerma Region)", Sudan and Nubia,vol 8.

(14) Isaac. G. (1985) "The Oldowan reassessed: a close look at early stone artefacts", Journal of Archaeological Science, vol 12.

(15) Kedeing. B. (1997) "Prehistoric Investigations in the Wadi–Howar Region: Preliminary report on the 1995–1999 season". Kush,vol XVII (NCAM).

(16) Kolosowska. E. and El –tayb. M (2003) "Test Excavations at Acemtery site Near ElArgub in the Fourth Cataract Rrgion", African Reports, vol.2, Gdansk.

(17) Nordström.Ä. (1972) Neolithic and A–Group Sites, The Scandinavian Joint Expedition to Nubia, Bd 12,3, Stockholm.

(18) Panner and Borcowski (2005) "Gdansk Archaeological Museum Expedition (GAME) Report on the 2002 Season", African Reports, vol.3, Gdansk.

(19) Reisner. G. A (1918) "Outline of the Ancient History of the Sudan", Sudan Notes and Record, No 1.

(20) Säve–Söderbergh. T. (1962) "Preliminary Report on the Scandinvian Joint Expedition Archaeological Investigations Between Faras and Gamai", Kush, vol X.

(21) Säve–Söderbergh. T. (1981) late Nubian Cemeteries. Scandinavian Joint Expedition VI, Solna.

(22) Vercoutter. J. (1960) a, “A Dagger from Kerma”, Kush, vol VIII (NCAM).

(23) Welsby. D. (1998) The Kingdom of Kush, The Napatan and Meroitic Empires. London.

(24) Wendorf. F. and Schild.R. (1968) The Prehistory of Nubia, Dallas.

(25) Wendorf.F and Schild.R. (2004) “late Paleolithic in Nubia, the evidence and causes”, Adumatu, Issue No:10.

دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribuation

ISSN: 1858-9928 ردمك